«يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقُرْصية نقيٍّ ليس فيها معلم لأحد»[1] تشبه الأرض رقاقة ملساء لا نجود ولا وهاد، ولا يرى قصر لأحد !

الكل حفاة عراة قيام لرب العالمين ﴿ ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا * فيذرها قاعا صفصفا * لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ﴾[2] .

وكلا التفسيرين يكمل الآخر ، ليس بينهما تدافع، فهناك زلزال اجتماعى يهدم ما شاء الناس من أباطيل ووضعوا من أنساب وألقاب. وهناك زلزال مادىّ بدأ وصفه فى قوله تعالى : ﴿ إذا رجّت الأرض رجّا * وبُسّت الجبال بسّا * فكانت هباء منبثا ﴾ .

مع قيام الساعة تهيج زلازل تهدّ كل شىء، وتتحول بها الصخور الصلدة إلى ذرّ كتلك الكائنات الدقيقة التى نراها تسبح فى الشعاع! ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار ﴾[3] .

ولسنا ندرى كم نبقى هنا قبل أن تتبدّل الأرض؟ عشرات ومئات من القرون؟ إن تحديد الرقعة الزمانية غير مهم، المهم هو استبانة الحصاد الأخير لهذا التاريخ الطويل، وقد بين الله سبحانه أن أبناء آدم سيتوزعون على ثلاث زُمر ﴿ وكنتم أزواجا ثلاثة * فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة * وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة * والسابقون السابقون * أولئك المقرّبون * فى جنات النعيم ﴾ !!

ولنتريث قليلا فى شرح السورة لنتدبر قصة الجزاء الأخروى والزعم بأنه روحانىّ!

من المعلوم أن الإنسان جسم وروح، فهل صحيح أن التسامى المنشود للإنسان لا يتم إلا بتدمير الجسد، وتجاهل مطالبه؟ إننى لم أرَ فى الكتاب والسنة أى إشارة إلى تعذيب الجسد وإشقائه!

نعم هناك صيام مشروع، وتعرُّضٌ للعطش والجوع! وهناك صلاة قد يطول فيها السجود والقيام، وقد تتورّم فيها الأقدام ! وربما اكتسب الإنسان رزقه من حرفة ينصَب فيها ويتصبب عرقه ! وربما انتهت حياته بالقتل فى سبيل الله فتزهق روحه، ويراق دمه، ويتحقق فيه قول ابن الرومى :

---

(١) فتح البارى جـ ١١ ص ٣٧٢ الرقائق / يقبض الله الأرض يوم القيامة رقم ٦٥٢١ .
(٢) طه : ١٠٥ ـ ١٠٧ .
(٣) إبراهيم : ٤٨ .